

الحُبُّ فِي مَوْسِمِ الكَرَاهِيَةِ

دكتور أنور حمدان سجواني



الحُبُّ فِي مَوْسِمِ الكَرَاهِيَةِ

دكتور أنور حمدان سجواني

AUSTIN MACAULEY PUBLISHERS

الحُبُّ فِي مَوْسِمِ الكَرَاهِيَةِ

دكتور أنور حمدان سجواني

حقوق النشر ©

الفصل الأول: درعا، سورية شتاء 2016م

الفصل الثاني: جامعة الشارقة، صيف 2009م

الفصل الثالث: كلية الطب - السنة الأولى رحلة أستراليا

الفصل الرابع: اليوم العالمي والانتخابات

الفصل الخامس: رحلة أيرلندا والكلية الملكية

الفصل السادس: المَجزرة شتاء 2016 م

الفصل السابع: كلية الطب السنة الثالثة والرابعة - رحلة صيربين. ياس

الفصل الثامن: السنة الأخيرة في كلية الطب.. حفل التخرج

الفصل التاسع: سنة الامتياز.. مصر، صيف 2014 م

الفصل العاشر: التدريب في الإمارات.. زواج وموت، 2015 م

الفصل الحادي عشر: حركة تحرير مسلحة شتاء 2016 م

الفصل الثاني عشر: مستشفى دبي مخيم السودان الطبي 2015 م

الفصل الثالث عشر: فرح ومُنى، رحلة الأردن 2016 م

الفصل الرابع عشر: مُخيم اللاجئين السوريين في الأردن شتاء 2016 م

الفصل الخامس عشر: العَوْدَة إلى الأردن زيارة البتراء، شتاء 2016 م

الفصل السادس عشر: الهُروب من حركة التحرير

الفصل السابع عشر: الجيش السوري

الفصل الثامن عشر: دمشق والانفجار

الفصل التاسع عشر: لبنان والجامعة الأمريكية

الفصل العشرون: العَوْدَة إلى الوطن والعلاج النفسي

الفصل الحادي والعشرون: ألمانيا وصوفيا، 2017م

الفصل الثاني والعشرون: العَوْدَة إلى مصر والسودان

الفصل الثالث والعشرون: صداقة من نوع آخر

الفصل الرابع والعشرون: العَوْدَة إلى لبنان

الفصل الخامس- والعشرون: الحُبُّ الوجدُ

دكتور أنور حمدان سجواني

الدكتور أنور حمدان سجواني هو طبيب عيون استشاري إماراتي، حائز على جوائز عدّة. عمل في مستشفيات تابعة لهيئة الصحة بدبي لأكثر من 25 عامًا، وكان أستاذًا كبيرًا وامتحانيًا في كلية دبي الطبية. سعى لاكتساب المعرفة الطبية والخبرة من خلال زيارته إلى عدّة دول، بما في ذلك باكستان، ولبنان، ومصر، وأيرلندا، والمملكة المتحدة، وفرنسا، وقد دفعه شغفه بمعالجة المرضى إلى التطوُّع في مخيمات طبية مختلفة. "الحب في موسم الكراهية" هو أول كتاب له، وقد تمَّ نشره لأوّل مرّة في عام 2020.

حقوق النشر ©

دكتور أنور حمدان سجواني 2025

يملك دكتور أنور حمدان سجواني الحق كمؤلف لهذا العمل، وفقًا للقانون الاتحادي رقم (7) لدولة الإمارات العربية المتحدة، لسنة 2002 م، في شأن حقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

جميع الحقوق محفوظة

لا يحق إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزينه، أو نقله، أو نسخه بأي وسيلة ممكنة؛ سواء كانت إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نسخة تصويرية، أو تسجيلية، أو غير ذلك دون الحصول على إذن مسبق من الناشرين.

أي شخص يرتكب أي فعل غير مصرح به في سياق المذكور أعلاه، قد يكون عرضة للمقاضاة القانونية والمطالبات المدنية بالتعويض عن الأضرار.

الرقم الدولي الموحد للكتاب 9789948725473 (غلاف ورقي)
الرقم الدولي الموحد للكتاب 9789948725466 (كتاب إلكتروني)

رقم الطلب: MC-10-01-4091252
التصنيف العمري: +17

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقًا لنظام التصنيف العمري الصادر عن مجلس الإمارات للإعلام.

الطبعة الأولى 2025
أوستن ماكولي للنشر م. م. ح
مدينة الشارقة للنشر
صندوق بريد [519201]
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

www.austinmacauley.com
+971 655 95 202

الفصل الأول: درعا، سورية شتاء 2016م

استيقظ الدكتور حميد الساعة السادسة صباحًا، خلغ عنه قميصه وبنطاله المُتسخين بالدم والعرق، وذهب ليستحم، بينما وقف يدعك جسده بالصابون تحت المياه الدافئة، تذكر حلمه، لكنه لم يتمكن من تذكر التفاصيل بالكامل، كل ما تذكره هو الشعور بالرمل بين أصابع قدميه، ورائحة الغروب على الشاطئ، وشعور طاع بأن مياه الخليج تسحبه إلى الأعماق.

عندما انتهى حميد من الاستحمام وارتداء ملابسه النظيفة، وجد أن أبا جابر قد انتهى من إعداد وجبة الإفطار لهما، أكل الاثنان بنهم؛ فقد كاد الجوع يفتك بهما، بعد الانتهاء، غسلأ أيديهما وغادرا شقتهما الكائنة بمبنى من طابقين في درعا، في الخارج، استقلا سيارة أبي جابر البيك أب المركونة أمام البوابة، وتوجها إلى مستشفى المعارضة السورية.

في المستشفى، توقف حميد ليتجاذب أطراف الحديث مع عددٍ من الأطباء والممرضات؛ بمن فيهم مدير المستشفى، قبل أن يبدأ جولته في المستشفى للاطمئنان على مرضاه، في وحدة العناية المركزة، وجد المُمرضة ربما جوار سرير مريض الأمس بإصابته البالغة في صدره، كان المريض مستيقظًا وربما تقيس علاماته الحيوية، وتتأكد من نبضه وتنفسه.

تبعث ربما حميد وهو يتفقد بقة المرضى في أجنحة المستشفى الأخرى، في أثناء ذلك، أخبرته عن أحوال المرضى وجُرعَات الدواء التي يتلقاها كل منهم، وعن تحسن أيٍّ منهم أو انتكاسه.

في غرفة مُنزوية، وجد الدكتور حميد أن ضغط دم المريض المصاب بتمزق في أمعائه منخفض، كان المريض في وضعٍ يرثى له بين الصحوة والنوم، عندما فحصه حميد، اكتشف أن بطنه مُنتفخ بصورة غير طبيعية، أثار ذلك قلق حميد وجعله يتخوف أن يكون انخفاض ضغط دم المريض إشارة لنزيفٍ داخلي، أو أيٍّ إصابات أو جروح أخرى ربما تعرّض لها خلال الانفجار، لهذا، قرّر حميد أن يرسل المريض إلى غرفة العمليات ليُعيد فتح بطنه وفحصه بعناية للتأكد من خلوه من أيٍّ شظايا، أو عدم وجود تمزق في الأنسجة الداخلية.

استدار حميد إلى ربما، ووجه لها حديثه - مُحاولًا ألا يُبدي قلقه:

-جَهَّزِي المريض، سأجري العملية بعد نصف ساعة.

أَلْقَتْ رِيماً سُؤْلاً إِلَى حَمِيدِ بِحِمَاسٍ مُمَرَّضَةٍ لَا تُرِيدُ أَنْ تَفُوتَ أَيَّ فُرْصَةٍ لِلْمُسَاعَدَةِ:

-هَلْ تَسْمَحُ لِي بِمُسَاعَدَتِكَ فِي غُرْفَةِ الْعَمَلِيَّاتِ يَا دَكْتُور؟

أَوْماً حَمِيدٌ بِرَأْسِهِ مُوَافِقاً.

دَفَعَتْ رِيماً سُرِيرَ الْمَرِيضِ إِلَى غُرْفَةِ الْعَمَلِيَّاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي التَّسْوِيَةِ، وَوَجَدَتْ طَبِيبَ التَّخْدِيرِ فِي انْتِظَارِهَا هُنَاكَ، بَعْدَ أَنْ تَمَّ تَخْدِيرُ الْمَرِيضِ، وَصَلَ حَمِيدٌ وَغَسَلَ يَدَيْهِ، وَارْتَدَى بِذَلِكَ الْعَمَلِيَّاتِ، لِيَجِدَ أَنَّ رِيماً قَدْ نَظَفَتْ بَطْنَ الْمَرِيضِ وَعَقَّمَتْهُ اسْتِعْدَاداً لِلْعَمَلِيَّةِ الْجَدِيدَةِ.

بَدَأَ حَمِيدٌ بِقَطْعِ الْغُرْزِ، وَفَتَحَ مَكَانَ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي أَجْرَاهَا فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ، لَمْ يَكُنِ الْجِرْحُ قَدْ تَشَاقَى أَبَداً، بَدَأَ حَمِيدٌ بِفَحْصِ بَطْنِ الْمَرِيضِ وَوَجَدَهُ مَلِيئاً بِالْدَمِ، بَعْدَ أَنْ تَخَلَّصَ مِنَ الدَّمَاءِ بِاسْتِخْدَامِ أَنْبُوبٍ لَشَفْطِهَا، لَاحِظاً أَنَّ الْأَوْعِيَةَ الدَّمَوِيَّةَ الَّتِي ظَنَّ أَنَّهُ أَحْكَمَ غُرْزِهَا فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ قَدْ انْفَتَحَتْ مَرَّةً أُخْرَى، أَدْرَكَ حَمِيدٌ أَنَّهُ - وَبِسَبَبِ عَجَلَتِهِ فِي أَثْنَاءِ إِجْرَاءِ الْعَمَلِيَّةِ - اسْتِخْدَمَ الْغُرْزَاتِ الْخَطَأَ الَّتِي لَا تُلَائِمُ الْأَوْعِيَةَ الدَّمَوِيَّةَ، لِإِصْلَاحِ ذَلِكَ، أَصْبَحَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ الْغُرْزِ السَّابِقَةِ، وَأَنْ يَسْتَبْدِلَهَا بِالْغُرْزِ الْمُنَاسِبَةِ، مَا إِذْ انْتَهَى مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى تَوَقَّفَ النَّزِيفَ تَمَاماً، قَامَ حَمِيدٌ بَعْدَهَا بِوَضْعِ أَنْبُوبٍ فِي صَدْرِ الْمَرِيضِ؛ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ تَصْرِيفِ السَّوَائِلِ، وَتَمْرِيرِ الْهَوَاءِ بِسُهُولَةٍ مِنْ تَجْوِيفِ الصَّدْرِ؛ وَبِالتَّالِيِ الْخَدِّ مِنْ اِحْتِمَالِ حَدُوثِ أَيِّ مُضَاعَفَاتٍ صَدْرِيَّةٍ وَتَنَفُّسِيَّةٍ، بَعْدَ ذَلِكَ، أَغْلَقَ حَمِيدٌ مَعِدَةَ الْمَرِيضِ بِغُرْزٍ مُحْكَمَةٍ، وَطَلَبَ مِنْ رِيماً أَنْ تَضَعَ اللَّمَّسَاتِ النِّهَائِيَّةَ بِتَغْطِيَةِ مَكَانِ الْعَمَلِيَّةِ بِضَمَّادَاتٍ طَبِيبَةٍ.

بَعْدَ الْعَمَلِيَّةِ، وَاصَلَ الدَكْتُورُ حَمِيدٌ وَرِيماً زِيَارَةَ بَقِيَّةِ الْمَرَضِيِّ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ عَدَمِ وَجُودِ أَيِّ مُضَاعَفَاتٍ قَدْ تَكُونَتْ حَدَثَتْ بِسَبَبِ الْعَجَلَةِ فِي عِلَاجِهِمْ، تَحْتَ ضَغْطِ أَحْدَاثِ الْيَوْمِ السَّابِقِ.

أَكَنَّ الْجَمِيعُ الْإِحْتِرَامَ لِحَمِيدِ فِي الْمَسْتَشْفَى، وَقَدَّرُوا مَعْرُوفَهُ وَمُسَاعَدَتَهُ لَهُمْ عَلَى مَدَارِ الْيَوْمِينِ السَّابِقِينَ، خَاصَّةً رِيماً، فِي الْوَقْتِ الْقَصِيرِ الَّذِي قَضَاهُ حَمِيدٌ فِي الْمَسْتَشْفَى، حَدَّثَتْهُ رِيماً عَنْ حَيَاتِهَا، وَالْمَصَاعِبِ الَّتِي تُعَانِيهَا عَائِلَتُهَا بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ زَوْجَهَا، وَعَادَتْ لِتَعِيشَ مَعَ أُمَّهَا فِي بَلَدَةٍ أُخْرَى، وَاصْطَرَتْ لِلْعَمَلِ لِتَتِمَكَّنَ مِنْ إِعَالََةِ أَطْفَالِهَا.

فِي الْغُرْفَةِ الْمَخْصُصَةِ لِلْأَطْبَاءِ وَطَاقِمِ التَّمْرِيزِ، أَخْبَرَ حَمِيدُ الْجَمِيعَ بِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ آخِرُ يَوْمٍ لَهُ فِي الْمَسْتَشْفَى؛ فَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ سَيَتَوَجَّهَ إِلَى الْأُرْدَنِ، وَمِنْ هُنَاكَ سَيُعُودُ إِلَى الْإِمَارَاتِ، احْتَضَنَهُ الْجَمِيعُ وَوَدَّعُوهُ مُعَانِقِينَ، حَتَّى رِيماً طَبَعَتْ قَبْلَتَيْنِ عَلَى وَجْهِهِ.

قالت له ريماء، والدَّموع تتراكم في عينيها:

-أنت مثل أخي الصَّغير.. أرجوك، لا تنسنا، عُد إلينا وساعدنا مرَّة أخرى!

وعَدها حميد بالعودة قريبًا، وقبلَ أن يُغادر، وضعَ في يدها خمسمئة دولار أمريكي، رفضت ريماء المبلغَ في البداية، إلا أنَّ حميد أصرَّ قائلاً:

-المبلغ لأطفالك، إذا أردتِ عُدِّي بمِثابة أخيك الأصغر، فعليكِ إذن أنْ تقبلي مُساعدتي لكِ، فالأخت لا ترفض ذلك من أخيها.

عندما غادر حميد المُستشفى، وجَدَ أبا جابر في انتظاره في سيارته أمام المبنى، وهما في طريقهما إلى مسكنهما، نصَحَ أبو جابر حميد بأنْ ينالَ قسطًا كافيًا من النوم؛ لأنهما سيبدأان رحلتهما إلى الأردن في وقتٍ مُبكرٍ من صباح الغد، شعَرَ حميد بسعادة غامرة لأنَّه تمكنَ من تقديم المساعدة في المستشفى، وإنقاذ حياة العديد من السوريين الأبرياء الذين سَقَطُوا صَحَايا فظائع الحرب الجائرة، وكانوا بأمرِّ الحاجة للعناية الطبيَّة، وليس هذا فقط، بل شعَرَ حميد بالسَّعادة لأنَّه سيعود إلى أهله ووطنه لينعمَ بشعور الأمان في إمارة الشارقة قريبًا.

لكن، ما كلُّ ما يتمنَّى المرءُ يُدرِكُه، لم يعرف حميد أنَّ مهمته لم تنته بعد، وأنَّ قدرَه المتربِّص به يُحيك له طريقًا آخر.

ما إنَّ وصلا إلى الشَّقة، وفي عَفلة عمَّا يُخبئُه الغدُّ لهما، حتَّى خلدَ حميد إلى نوم عميق، وكله شوق لرحلة الغدِّ التي ستجمله إلى الأردن.

حوالي الرَّابعة قبل الفجر، استيقظ حميد فجأةً من نومه على صوت دويٍّ هائل، وانفجار اهتزاز له جدران عُرفته، كما لو أنَّ زلزالًا عنيفًا ضرب المنطقة حوله، لم يُدرك حميد ما الذي حصلَ في بادئ الأمر، فقد وعيه لفترة، وعندما استعاده أدرك أنَّ وقع الانفجار قد قدَّفه من سريره وأسقطه بعنف على الأرض، تثار زجاج النوافذ وغطى الأرض، حاول حميد الوقوف بضعوبة، ولاحظ أنَّ باب العُرفة قد انخلع من مصراعيه، تلتفت حوله ووجد حقيبته تحت حُطام السرير، أخرج منها بنطال جينز، وقميصًا، وارتداهما بأسرع ما يُمكن، ثمَّ التقطَ سترته وكشَّافه من تحت الأثاث المتناثر، وأسرع نحو الباب، من عَجَلته، أوشك أنْ ينسى حقيبته، لكنه عاد والتقطها وغادر بسرعة.

لم يُصدِّق حميد المنظرَ أمامه، كان المبنى بأكمله - المبنى الذي سكن فيه مع أبي جابر - كتلة زُكام، غرفته هي الوحيدة التي لم تتهاو، حاول حميد المشي بين الحُطام، إلى أنْ عثر على أبي جابر مدفونًا إلى مُنتصف صدره، جذَّعه مَحنيًّا إلى الأمام، وجبهته تلامس الأرض وكأنَّه ساجدٌ مُنشغلٌ بالصلاة

عمّا حوله، حاول حميد سحبه وتخليصه، لكنّه لم يتمكّن من ذلك، فجأة، تبيّه حميد لبرودة جسد أبي جابر، حاول العثور على نبض في رقبته، لكن لم يكن هناك أيُّ نبض، استخدّم حميد كشافه ليفحص عيني أبي جابر، شعر باليأس تمامًا عندما لم يجد أيّ إجابة من حدقة العين، لقد مات دليله وصديقه الذي كان سيأخذه إلى مخيم اللاجئين في الأردن.

ركّض حميد على طول الشارع، وعثر على البيك أب السوداء مقلوبة على الأرض ومغطاة بالحطام، ما لبث بعدها أن سمع انفجارًا آخر أقوى بكثير وأقرب من الانفجار السابق، بدأت النيران ترتفع من المنطقة التي حزنت بها قوّات المعارضة أسلحتها وذخيرتها، وبدأت القنابل تتساقط من الطائرات المحلقة في السماء فوق حميد، ركّض حميد أسرع من أيّ مرّة في حياته، شعر أنّ طائرات النظام السوري قد قرّرت أن تُنهي على كلّ شيء في البلدة، أخذ في الركض بعيدًا عن المباني التي بدأت تتهاوى تحت دويّ القنابل، ركّض وركّض حتى أصبح صوت القنابل والانفجارات دويًا خافتًا وراءه، ثم بدأ بالمشي، بعد فترة، أدرك أنّ وجهه وجسده مغطيان بالدماء من الجروح التي أصيب بها في أثناء الانفجار فتوقّف لفترة وجيزة، أخرج خلالها عدّة الإسعافات الأولى من حقيبته، ونظف جروحه وعقمها وضمّدها، بعد أن انتهى، مشى حميد أميالًا في العتمة الحالكّة حتى رأى أنوارًا في الأفق فتوجّه صوبها.

فجأة، سمع حميد صوت طلق ناريّ ودوي الرصاص فوق رأسه، قفز داخل خندق على جانب الطريق، وتكوّر دون أن يتجرأ على الجلوس.
سأله صوتٌ بنبرة حادة:

-من أنت؟

في نفس الوقت، امتدّت يده وسحبّت حميد خارج الخندق، نظّر حميد فرأى أمامه رجلين، كلٌّ منهما بلحية كثيفة ويرتدي قميصًا بأكمّام طويلة وبنطال يصل إلى كاحليه، صوّب الرّجلان أسلحتهما نحو صدر حميد، بدأ قلبُ حميد ينبض بسُرعة ووجد صعوبةً في التنفّس، رفع يديه إلى الأعلى وقال:

-لا أحملُ أيّ سلاح، أنا طبيب.

سأله أحدُ الرّجلين، بعد أن لاحظ أنّ حميد يتكلّم العربيّة بلكنة مختلفة عن اللكنة السوريّة:

-من أيّ البلاد أنت؟

أجاب حميد: من الإمارات!

فَكَرَّ الرَّجُلَانِ لِبُرْهَةِ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَحَدُهُمَا:
هَلْ تَحْمَلُ جَوَارَ سَفَرٍ أَوْ هُوِيَّةَ مَعَكَ؟
أَجَابَ حَمِيدٌ: نَعَمْ!

وَمَدَّ يَدَهُ بِبَطَاءٍ إِلَى جَيْبِهِ وَأَخْرَجَ جَوَارَ سَفَرِهِ وَقَدَّمَهُ لِهَمَا، فَحَصَّ الرَّجُلَانِ
جَوَارَ السَّفَرِ، وَبَدَا عَلَيْهِمَا الرِّضَا، ثُمَّ قَامَا بِتَفْتِيْشِ حَقِيْبَةِ حَمِيدٍ وَسِتْرَتِهِ، وَرَبَطَا
يَدَيْهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، أَمْسَكَ الرَّجُلَانِ مِنْ كَتْفَيْهِ، وَقَادَاهُ مِثْلَ سَجِيْنٍ نَحْوَ بَيْتِ
قَدِيْمٍ عَلَى مَسَافَةِ قَرِيْبَةٍ.

فَقَحَّ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ بَابَ الْبَيْتِ الْأَمَامِيِّ، وَدَفَعَ حَمِيدٌ فِي رُدْهَةِ ضَيْقَةٍ، ثُمَّ قَادَهُ
الرَّجُلَانِ إِلَى غُرْفَةٍ صَغِيْرَةٍ.
تَوَسَّلَ حَمِيدٌ مُخَاطَبًا الرَّجُلَيْنِ، عِنْدَمَا لَاحِظَ أَنَّهُمَا عَلَى وَشِكِّ إِغْلَاقِ الْبَابِ
وَتَرَكَهُ فِي الْغُرْفَةِ وَحْدَهُ:

-من أنتما؟ أخبراني بالله عليكما! ماذا تريدان مني؟ ولأني سبب أنا
مسجون هنا؟

أجابه أحد الرجلين:

-نحن من حركة التحرير السورية.. سنقتادك للقاء زعيمنا في الصباح،
وحده الزعيم سيقرر ما يفعل بك!

مَا إِنَّ انْتَهَى الرَّجُلُ مِنَ الْحَدِيثِ، حَتَّى أَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ وَأَوْصَدَهُ، تَارِكًا
حَمِيدًا وَحْدَهُ فِي الظَّلَامِ الدَّامِسِ.

لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ أَثَاثٍ فِي الْغُرْفَةِ، إِسْتَلَقَى حَمِيدٌ عَلَى الْأَرْضِ، كَانَ يَبْشُرُ
بِالْإِنْهَاكِ التَّامِ، كُلُّ جُزْءٍ مِنْ جِسْمِهِ يَتَأَلَّمُ، حَاوَلَ النَّوْمَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ، بَدَأَ
فِي الْبِكَاةِ مُعَايَنَةً نَفْسَهُ: "أَيُّهَا الْأَحْمَقُ! لِمَاذَا تَرَكْتَ أَمَانَ وَرَاحَةَ وَطَنِكَ وَبَيْتِكَ
لِتَأْتِيَ إِلَيَّ هُنَا؟" وَبَحَّ نَفْسَهُ مَرَّةً تَلُو الْأُخْرَى، مُتَذَكِّرًا كَيْفَ نَاشَدَتْهُ عَائِلَتُهُ فِي
الشَّارِقَةِ - أُمُّهُ، أَبُوهُ، أَخَوَاتِهِ وَأَعَزُّ أَوْصِدْقَائِهِ صَالِحٌ - وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ أَلَّا يَذْهَبَ
إِلَى مَخِيْمِ اللَّجَائِيْنِ، لَكِنَّهُ كَانَ عَنِيْدًا وَلَمْ يُصِغْ أَوْ يَسْتَمِعْ لِنَصِيْحَتِهِمْ.

فِي عَتَمَةِ هَذِهِ الْغُرْفَةِ الْبَادِرَةِ، بَدَأَتْ أَيَّامُ الدِّرَاسَةِ فِي كَلِيَّةِ الشَّارِقَةِ
تَطْوِفِ أَمَامِ عَيْنِي حَمِيدٌ؛ ذِكْرِيَاثٌ عَذْبَةٌ مِنَ السَّنَوَاتِ الْخَمْسِ الَّتِي قَضَاهَا
هُنَاكَ، خَاصَّةً أَوَّلَ أَيَّامِ الْجَامِعَةِ، حِينَ أَكْمَلَ تَسْجِيْلَهُ فِي كَلِيَّةِ الطَّبِّ، ذِكْرِيَاثٌ
جَمِيْلَةٌ مِثْلَ حَلْمٍ جَمِيْلٍ بَدَأَتْ تَتَسَارَعُ إِلَى ذَهْنِهِ، وَكَأَنَّهَا قَادِمَةٌ مِنْ زَمَنِ بَعِيدٍ
وَمُسْتَحِيلٍ.

الفصل الثاني: جامعة الشارقة، صيف 2009م

كانَ أوَّلَ أَيَّامِ الجامعةِ أسعدَ يومٍ في حياةِ حميدٍ، استيقظَ ذلكَ اليومَ بشعورٍ غامِرٍ بالحماسِ والنشاطِ؛ فبعدَ الجهدِ الذي بذَّله خلالَ المرحلةِ الثانويةِ، وبعدَ السَّهرِ الطويلِ والمُذاكرةِ والامتحاناتِ، حقَّقَ حميدٌ أعلى المراتبِ بينَ الطلابِ الإماراتيينِ، وفُتحتَ أمامَه جميعُ الأبوابِ، بعدَ أن حَصَلَ على مِنحِ دراسيَّةٍ كثيرةٍ تُخيِّره بينَ الدراسةِ خارجَ الدَّولةِ أو في جامعةِ الشارقةِ، إضافةً إلى تغطيةٍ كاملةٍ لجميعِ تكاليفِ تعليمه.

يَعُدُّ نِقاشَ مطوَّلٍ معَ والديه، اختارَ حميدُ الالتحاقَ بكليةِ الطبِ في جامعةِ الشارقةِ، وبذلكَ يضمنُ البقاءَ في الإماراتِ، أخذَ حميدٌ بعينِ الاعتبارِ مجموعةً منَ الأمورِ المهمَّةِ، توَصَّلَ - بناءً عليها - إلى ذلكَ القرارِ؛ أولها: الوضعُ السياسيُّ الدوليُّ في مُختلفِ البلدانِ الأوروبيةِ والولاياتِ المتحدةِ الأمريكيَّةِ، لكنَ أهمُّ هذهِ الأمورِ - في نظرِ حميدٍ - كانَ وجودُ العديدِ منَ كليَّاتِ الطبِ المتميِّزةِ في الإماراتِ، كما أنَّ بيئتهِ في الشارقةِ كانَ على مَسافةٍ قصيرةٍ بالسيارةِ منَ كليةِ الطبِ في جامعةِ الشارقةِ.

في مَساءِ اليومِ السَّابقِ، هدَّبَ حميدٌ لحيتهِ عندَ الحلاقِ، وتأكدَ أنَّ حذاءه وعُثرتهِ في أبهى صورةٍ؛ فقدَ أشرفَ هو بنفسِه على كَيْها وتبخيرها، ووضعها في خزانتهِ ببالغِ الجِرصِ، قبلَ أن ينامَ، نظرَ منَ نافذةِ عُرْفتهِ إلى سيَّارتهِ الرياضيَّةِ الجديدةِ التي أهداها له والدهُ بمناسبةِ التحاقه بكليةِ الطبِ، بدَّا كلُّ شيءٍ على ما يرامٍ، نظرَ حميدٌ إلى سَاعتهِ الجديدةِ التي أهدتها له والدتهِ وشقيقاتهِ الأربعِ على مكتبه جوارِ حقيبتِه، ثمَ أوى إلى فراشهِ وابتسامه الرُّضا على شفثيه.

في الصَّباحِ، ارتدَّى حميدٌ ملبسَه واستعدَّ ليومه، ورائحةُ البُخورِ تملأُ رثيتهِ بالتصميمِ والاستعدادِ لهذا الفصلِ الجديدِ منَ حياته، قادَ سيَّارتهِ بعنايةٍ بالغةٍ في طريقه إلى الجامعةِ؛ تجنُّبًا لوقوعِ أيِّ حادثٍ، خاصةً وأنَّ حركةَ المُرورِ بالقربِ منَ طريقِ الجامعةِ مُزدحمةٌ للغاية، كما هو مُتوقَّعٌ خلالَ أوَّلِ يومٍ منَ أيامِ العامِ الدراسيِّ؛ بسببِ عَودةِ الطلابِ إلى المدارسِ والكلياتِ، وهذا ما تسبَّبَ في تأخُّرِ وصوله إلى مبنى التسجيلِ في الجامعةِ.

بعدَ مُرورِ خمسٍ وأربعين دقيقةً من مُغادرته المنزل، وَصَلَ حميدٌ أخيرًا إلى المدخل الرئيس للجامعة، طلبَ حارسُ الأمن من حميد أوراقَ القبول الخاصة به والتي أرسلتها له الكلية، بعد أن اطلع عليها الحارس، رفع الحاجزَ ووجه حميد إلى المنطقة المخصّصة للمواقف ليركّن سيارته، لدى دخوله إلى منطقة المواقف، لاحظ حميد أن كافة الأماكن مشغولة تقريبًا، لهذا؛ قادَ سيارته ببطء حول المنطقة، إلى أن لاحظ وجود شاغِر، وإن كان مكانًا ضيقًا، أسرع حميد بالسيارة ليصل إليه والسعادة تغمره، لكن، ما إن وصل بالقرب منه، حتى اندفعت سيارة بورش حمراء بنوافذ مُظلمة، واستولت على الموقف قبله.

شعر حميد بالغضب الشديد تجاه سائق السيارة؛ لهذا انتظر في سيارته ليعبر للسائق عن انزعاجه واستيائه من تصرّفه، بعد أكثر من دقيقة، فتح باب السيارة ونزلت منها فتاة في قمة الجمال، يبدو أنها طالبة جديدة، كانت ممشوقة القوام ببشرة فاتحة، وشعر طويل يصل إلى أسفل ظهرها، وبخصلات حمراء مثل السنة النار، وقفت الفتاة وعدلت حقيبة "شانيل" سوداء على كتفها، لم ير حميد عينها؛ لأنها كانت ترتدي نظارات شمس "غوتشي" داكنة، لم يفت حميد أن كل قطعة ارتدتها هذه الفتاة من رأسها إلى أخمص قدميها تحمل اسم أرقى العلامات التجارية المعروفة، لكن حميد لم يكن بمزاج يسمح له بملاحظة جمالها أو الانبهار به؛ فقد أغاظته بصورة لم يتوقعها، لهذا؛ تحاشى النظر إلى بشرتها الرائعة وحُمره شفاها الأخاذة، لوح حميد بيديه مُبديًا اعتراضه، لكنها مشّت في طريقها وتجاهلته دون أن تحاول النظر تجاهه وكأنها لم تلاحظه، لم يكن أمام حميد من اختيار سوى الاستسلام، ومحاولة العثور على موقف شاغِر في ساحة المواقف المزدحمة، على أمل أن يجد موقفًا هناك؛ كي لا يضطر لإيقاف سيارته في الساحة الرملية البعيدة.

لكن، وبعد طول بحث، فقد الأمل، واضطر لإيقاف سيارته هناك، والمشى فوق الرمل تحت أشعة الشمس الملتهبه، إلى أن وصل المبنى الرئيس، هناك، لاحظ حميد وجود لوحة إرشاد تشير إلى مبنى التسجيل لجميع الكليات، عند رؤية المبنى، تسي حميد معاناته في مواقف السيارات، وصعدَ الدرج بسعادة، انفتح الباب الأوتوماتيكي، ورحب به الهواء البارد في الداخل ليملا صدره بالتفاؤل والحماس.

على غرار المباني الأخرى في المدينة الجامعية، كان مبنى التسجيل مبنىً على الطراز الإسلامي العريق، الذي يُميز المدينة الجامعية في الشارقة بمجمعها الضخم المكوّن من أكثر من عشرين مبنى، يُمثل كلُّ منها كليةً مختلفة، وليس هذا فقط، فقد اتخذت بعض الجامعات الإماراتية - وجامعات من دول أخرى - عددًا من المباني في الحرم الجامعي مقرًا لها.

كَمَا هُوَ مُتَوَقِّعٌ، كَانَتْ قَاعَةُ التَّسْجِيلِ مُكْتَظَةً فِي أَوَّلِ يَوْمٍ؛ فَقَدْ تَمَّ تَخْصِيصُهَا لِتَسْجِيلِ طُلَّابِ أَرْبَعِ كَلِيَّاتٍ فِي جَامِعَةِ الشَّارِقَةِ؛ وَهِيَ: كَلِيَّةُ الطَّبِّ، وَإِدَارَةُ الْأَعْمَالِ، وَالْهَنْدَسَةُ، وَالْقَانُونُ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، قُسِّمَتِ الْمُنْطَقَةُ الْدَاخِلِيَّةُ إِلَى أَرْبَعِ مَنَاطِقٍ لِتُنَاسِبَ مُتَطَلِبَاتِ كُلِّ كَلِيَّةٍ.

بَيْنَمَا وَقَفَ حَمِيدٌ يَتَأَمَّلُ مَنَاطِقَ الْإِنْتِظَارِ الْخَاصَّةَ بِطُلَّابِ كَلِيَّةِ الطَّبِّ، بَحْثًا عَنْ أَيِّ شَخْصٍ يَعْرِفُهُ، شَعَرَ بِبِدِّ ثَلَامَسٍ كَتَفَهُ، وَسَمِعَ صَوْتًا يَنَادِي اسْمَهُ، التَّفَتَّ حَمِيدٌ لِيَرَى صَالِحًا، صَدِيقَ طِفْلُوتهِ وَزَمِيلَهُ مِنَ الْإِبْتِدَائِيَّةِ إِلَى الثَّانَوِيَّةِ، كَانَ الْإِثْنَانُ قَدْ قَرَّرَا الْإِلْتِحَاقَ بِكَلِيَّةِ الطَّبِّ.

يَنْتَبِهُ صَالِحٌ إِلَى عَائِلَةٍ مِنْ بَلَدَةٍ صَغِيرَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْ رَأْسِ الْخِيْمَةِ، وَكَيْ يَتِمَّكَنَ مِنَ الدِّرَاسَةِ فِي كَلِيَّةِ الطَّبِّ فِي الشَّارِقَةِ، اسْتَأْجَرَ صَالِحٌ غُرْفَةَ "أَسْتُوْدِيُو" فِي مَبْنَى بِالْقُرْبِ مِنَ الْجَامِعَةِ، كَيْ يَتَجَنَّبَ الْقِيَادَةَ لِمَسَافَةِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَوْمِيًّا مِنْ رَأْسِ الْخِيْمَةِ إِلَى الشَّارِقَةِ.

تَعَانَقَ الصَّدِيقَانِ وَتَصَافَحَا بِسَعَادَةٍ، خَاصَّةً بَعْدَ مَرُورِ سَنَةِ أُسَابِيعٍ مِنَ الْإِجَازَةِ الصَّيْفِيَّةِ لَمْ يَلْتَقِيَا خِلَالَهَا، ثُمَّ جَلَسَا عَلَى كُرْسِيِّينِ أَمَامَ مَكْتَبِ التَّسْجِيلِ الْخَاصِّ بِكَلِيَّةِ الطَّبِّ، تَبَادَلَا حَمِيدٌ وَصَالِحٌ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ وَهُمَا يُرَاقِبَانِ الطُّلَّابَ الْآخَرِينَ، كُلُّ مِنْهُمُ مُمَسِكٌ بِأَوْرَاقِ قَبُولِهِ، وَالْحَقَّاسُ وَالتَّرْقُبُ بَادِيَانِ عَلَى وَجْهِهِمْ، بِحُلُولِ السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ صَبَاحًا، بَدَأَ مُوظَّفُو الْجَامِعَةِ - مِنْ مَكَانِهِمْ خَلْفَ الْمَكَاتِبِ - اسْتِدْعَاءَ الطُّلَّابِ حَسَبَ تَسْلُسُلِ حُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّةِ، لَمْ يَتَجَاوَزْ عَدَدُ طُلَّابِ كَلِيَّةِ الطَّبِّ التَّسْعِينَ طَالِبًا وَطَالِبَةً، بَيْنَمَا وَصَلَ عَدَدُ طُلَّابِ الْكَلِيَّاتِ الْآخَرِيَّ إِلَى الْمِئَاتِ، أَمَّا النَّصِيبُ الْأَكْبَرُ، فَكَانَ مِنْ حِظِّ كَلِيَّةِ الطَّبِّ؛ وَالْفَنُونَ؛ أَنْ مَقَرَّرَهَا هُوَ الْأَسْهَلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، عَلَى عَكْسِ كَلِيَّةِ الطَّبِّ الَّتِي تُعَدُّ الْأَطْوَلَ وَالْأَكْثَرَ صُعُوبَةً؛ فَهِيَ تَتَطَلَّبُ سَنَةَ أَعْوَامٍ لِلتَّخَرُّجِ، يَتَخَرَّجُ طُلَّابُ الْكَلِيَّاتِ الْآخَرِيَّ - مِثْلَ كَلِيَّةِ الْفَنُونَ - بَعْدَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ وَنِصْفٍ، أَوْ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ فَقَطْ.

بَيْنَمَا جَلَسَ حَمِيدٌ فِي إِنتِظَارِ دَوْرِهِ، لَاحِظًا أَنَّ الْفَتَاةَ الَّتِي سَبَّرَقَتْ مَوْقِفَ السَّيَّارَةِ مِنْهُ فِي الصَّبَاحِ تَجَلَّسَتْ فِي مَكَانِ التَّسْجِيلِ الْخَاصِّ بِكَلِيَّةِ الطَّبِّ وَالْفَنُونَ، عِنْدَمَا سَمِعَ حَمِيدٌ اسْمَهُ، وَقَفَ وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَكْتَبِ، هُنَاكَ الْمَوْظِفَةُ وَسَلِّمَتْهُ مِنْهَا وَجَدُولَ السَّنَةِ الْأُولَى لِكَلِيَّةِ الطَّبِّ.

وَأَخِيرًا، انْتَهَى التَّسْجِيلُ بَعْدَ مَرُورِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ تَقْرِيبًا، وَتَجَمَّعَ الطُّلَّابُ فِي حَلَقَاتٍ لِتَعَرُّفٍ عَلَى بَعْضٍ، أَوْ لِلْقَاءِ أَصْدِقَائِهِمْ مِنَ الثَّانَوِيَّةِ، عَرَّفَ صَالِحٌ حَمِيدَ عَلَى أَرْبَعَةِ طُلَّابِ جُدُدٍ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ يَعِيشُونَ فِي نَفْسِ الْمَبْنَى الَّذِي يَعِيشُ بِهِ:

-هَذَا جُبْرَانٌ مِنْ لُبْنَانَ، وَعَنْ يَمِينِهِ رَاجَانٌ مِنَ الْهِنْدِ، جَمَشِيدٌ انْتَقَلَ إِلَى هُنَا مِنْ إِيرَانَ، أَمَّا جُونُ فَمِنْ نِيجِيرِيَا.

رَحَّبَ حميد بالجميع بحرارةٍ بالغة، وقال:

-بِمَا أَتَّكُم جَمِيعًا ضِيوفٌ عَلَى مَدِينَتِي، اسْمُحُوا لِي أَنْ أَدْعُوَكُمْ لِتَنَاوُلِ
الْقَهْوَةَ الْيَوْمَ!

وَأَفَقَ الشَّبَابَ الْخَمْسَةَ شَاكِرِينَ، فَأَضَافَ حَمِيدٌ مُمَارَحًا:

-لَكِنْ، لَا تَجْعَلُوهَا عَادَةً!

صَحَّكَ الْجَمِيعُ وَأَتَّجَهُوا نَحْوَ مَقْهَى الطَّلَابِ، هُنَاكَ، وَجَدُوا طَاوِلَةً خَارِجَ
المَقْهَى وَقَرَّرُوا الْجُلُوسَ حَوْلَهَا، خَاصَّةً أَنَّ دَاخِلَ المَقْهَى كَانَ مُكْتَظًا، سَأَلَ
حميدَ الْجَمِيعَ عَنِ الْقَهْوَةِ الَّتِي يُحِبُّونَهَا وَذَهَبَ لِيَطْلُبَهَا لَهُمْ، فِي الدَّاخِلِ، وَقَفَ
حميدُ فِي الطَّابُورِ مُنْتَظِرًا دَوْرَهُ، بَعْدَ دَقَائِقَ، وَقَفَتِ الْفَتَاةُ الَّتِي سَرَقَتْ
مَوْقِفَ السَّيَّارَاتِ مِنْهُ خَلْفَهُ مُنْتَظِرَةً دَوْرَهَا، رَغْمَ أَنَّ حَمِيدًا لَمْ يَكُنْ اجْتِمَاعِيًّا
وَيَشْعُرُ بِالْخَجَلِ - خَاصَّةً مَعَ الْبَنَاتِ - إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُتْلَهِّقًا لِيَقُولَ شَيْئًا لَهَا، بَعْدَ
أَنْ أَخْبَرَ النَّادِلَ بِطَلْبِهِ وَدَفَعَ الْمَبْلَغَ الْمَطْلُوبَ، اسْتَدَارَ قَبْلَ مُغَادَرَتِهِ، وَنَظَرَ فِي
عَيُونِهَا الْخَضْرَاءَ، أَحْمَرَ وَجْهَهَا خَجَلًا وَكَأَنَّهَا تَعَرَّفَتْ عَلَيْهِ، اسْتَدَلَّ حَمِيدٌ مِنْ
مَلَامِحِ الْفَتَاةِ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ إِمَارَاتِيَّةً، قَالَ لَهَا حَمِيدٌ:

-أَنَا سَعِيدٌ لِأَنَّكَ لَمْ تَسْرِقِي دَوْرِي هَذِهِ الْمَرَّةَ!

أَصْبَحَ وَجْهَهَا أَكْثَرَ احْمِرَارًا، وَرَمَتْهُ بِنَظْرَةٍ غَضَبٍ وَازْدِرَاءٍ دُونَ أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِ،
وَلْتُنَبِّتْ لَهُ أَنَّ رَأْيَهُ لَا يَعْنِي لَهَا شَيْئًا، أَخَذَتْ تَنْظُرًا إِلَى هَاتِفِهَا الْجَوَّالِ وَكَأَنَّهَا لَا
تُبَالِي بِوُجُودِهِ.

حَمَلَ حَمِيدٌ صَنِيبَةَ الْمَشْرُوبَاتِ مَعَ سَرَاحِ كَيْكِ الشُّوكُولَاتَةِ وَالْجُزْرِ، وَعَادَ
إِلَى الطَّوَالِةِ، حَيْثُ وَجَدَ أَصْدِقَاءَهُ يَتَحَدَّثُونَ بِحِمَاسٍ عَنِ خَطِّطِهِمِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ
فِي الْكُلِّيَّةِ، شَكَرَهُ الْجَمِيعُ عَلَى ضِيَافَتِهِ وَكَرَمِهِ الْبَالِغِ، وَانْهَمَكُوا فِي الْحَدِيثِ.
عِنْدَمَا التَفَتَ حَمِيدٌ، لَاحِظًا أَنَّ الْفَتَاةَ "الدَّلُوعَةَ" كَانَتْ تَجْلِسُ فِي الْجَوَّارِ مَعَ
مَجْمُوعَةٍ مِنْ صَدِيقَاتِهَا يَتَحَدَّثْنَ بِصَوْتٍ عَالٍ بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ الْمُخْتَلِطَةِ بِالْفَرَنْسِيَّةِ
وَالْعَرَبِيَّةِ، كَمَا لَاحِظًا أَنَّ وَجْهَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مُغَطَّى بِطَبَقَةٍ مَكْيَاحٍ كَثِيفَةٍ،
وَمَلَابِسُهُنَّ مُشْتَقَّةٌ مِنْ آخِرِ خَطُوطِ الْمَوْضِعِ وَكَأَنَّهِنَّ فِي صَالَةِ عَرْضِ أَرْبَاءَ،
بَدِيًّا مِنَ النِّظَارَاتِ الشَّمْسِيَّةِ إِلَى السَّاعَاتِ وَالْحَقَائِبِ الْجَلْدِيَّةِ وَالْأَحْذِيَّةِ -
كُلُّهَا مِنْ أَعْلَى الْمَارَكَاتِ الْعَالَمِيَّةِ، وَمِثْلُ "الدَّلُوعَةَ"، صَبَغَ مُعْظَمُهُنَّ شَعْرَهُنَّ
بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ تَتَرَاوَحُ بَيْنَ الْأَحْمَرِ وَالْبِنْفَسْجِيِّ وَ"الْهَائِلَاتِس"، كَانَ يَبْدُو أَنَّ
جَمِيعَ الْفَتَيَاتِ يَنْتَمِينَ لِعَائِلَاتٍ ثَرِيَّةٍ وَغَالِبِيَّتُهُنَّ إِمَارَاتِيَّاتٌ، إِضَافَةً لِمَلَابِسُهُنَّ
بَاهِظَةَ الثَّمَنِ، كُنَّ يَرْتَدِينَ عِبَاءَاتَ مُطَّرَّزَةٍ بِأَلْوَانٍ جَمِيلَةٍ دُونَ أَنْ تُغَطِّيَ أَيُّ

منهنَّ شعرها بأيِّ طرحة. تصرَّفت فتياتُ المجموعة وكأنهنَّ ملكاتِ والعالم تحت أمرهنَّ.

لم يكن حميد مَمَّن يُعجَب بأي فتاة تتغنَّج وتتغاوى بمظهرها، خاصَّة صِنف الفتيات اللاتي يُفسدن اللغة العربيَّة ولا يُبيدين احترامًا لها بخلطها بلغات أجنبيَّة أخرى.

سَمِعَ حميد "الدلوعة" تقول:

-بصراحة، أنا لا أحبُّ الشبابَ الإماراتيين، كلهم متسلِّطون وغير مُنفتحين.

سألته إحدى صديقاتها:

-إذا طلب شابُّ إماراتي يدك للزواج، ماذا ستفعلين حينها؟

أجابته "الدلوعة"، وهي تردُّ حُصلة من شعرها عن وجهها، لتكثيف عن عُنق في قَمَّة الجمال، وكأنها بتلك الحركة البسيطة تُقدِّم للعالم هدية ليس أهلاً لها:

-بالطبع سأرفض على الفور!
-مي، إذا لم يعجبك الشابُّ، ابعثيه لي.

صَحِكت الفتيات بصوتٍ عالٍ أثار انتباه الجميع، والتفتت الرُّؤوس لتنظر باتجاههنَّ، لكنَّ أيًّا منهنَّ لم تُبالٍ بنظرات الاستهجان، ولمَ لا؟ فقد كنَّ شاباتٍ جميلات، وكان ذلك أوَّل يوم لهنَّ في الجامعة!

عاشَت عائلة حميد في صَاحية هادئة من الشارقة، وبما أنَّه الولد الوحيد لعائلته، كان حميد فُرَّة عيونهم جميعًا؛ أختاه الأكبر منه سنًا: عفراء وأسماء، طالبتان في الكليَّة التقنيَّة في الشارقة، بينما أختاه الصَّغيرتان: سارة وميثاء، بعمر السابعة والثامنة، كانتا قرَّة عينه هو، لم يكن حميد يُضَيِّع دقيقةً أو فرصة تُتاح له ليلعبَ معهما، وبقراً لهما قصصٍ ما قبل النوم.

لم يتركز شَغف ميثاء وسارة على اللُّعب بالدمى مثل الفتيات في عُمرِهنَّ، بل فضَّلنا اللعب مع حميد وركل كُرَّة القدم معه في سَاحة البيت، وكلما عاد حميد إلى المنزل، سَارَعَتا إليه، وطلبتا منه أن يَحْمِلهما على ظهره حول البيت، وهذا تمامًا ما فَعَلتاه عندما عاد حميد إلى البيت بعد أوَّل يوم من أيام الجامعة.

نادَى حميد أمه وهو يضحك:

-مَا مَا! مَاذَا تُطْعِمِينَ هَاتَيْنِ الشَّيْطَانَتَيْنِ؟ لَقَدْ أَصْبَحْنَا أَثْقَلَ مِنْ أَنْ أُسْتَطِيعَ حَمَلَهُمَا!

خَرَجْتُ أُمُّ حَمِيدٍ بِسُرْعَةٍ مِنْ غُرْفَتِهَا، وَأَسْرَعَتْ بِاتِّجَاهِهِ فَوْرَ أَنْ سَمِعَتْ صَوْتَهُ. سَأَلْتَهُ أُمُّهُ وَهِيَ تَحْتَضِنُهُ، وَابْتِسَامَةً كَبِيرَةً عَلَى وَجْهِهَا، وَالشُّعُورَ بِالْفَخْرِ وَالْاعْتِرَازِ بِابْنِهَا الْوَحِيدِ يَمَلَأُ كَيْانَهَا:

-كَيْفَ كَانَ يَوْمُكَ دَكْتُورَ حَمِيدٍ؟ هَلْ تَمَّتْ إِجْرَاءَاتُ التَّسْجِيلِ بِسَلَاةٍ الْيَوْمِ؟
-الْحَمْدُ لِلَّهِ، كُلُّ شَيْءٍ مَضَى عَلَى مَا يَرَامُ، أَيْنَ بَابَا؟

أَجَابَتْ سَارَةَ، وَهِيَ تُغَطِّي عَيْنَيْ حَمِيدٍ بِيَدِهَا، وَتُحَاوِلُ خَلْعَ عُنُقَتِهِ بِالْيَدِ الْآخَرَى:

-بَابَا فِي الْمَسْجِدِ.

قَالَتْ مِيثَاءُ وَهِيَ تَقْفُرُ عَلَى الْكِنْبَةِ وَتُحَاوِلُ فَتْحَ حَقِيئَتِهِ:

-سَيَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ بَعْدَ قَلِيلٍ، أَيْنَ سَمَاعَاتُ الدَكْتُورِ يَا دَكْتُورَ؟ وَالْحُقْنَ؟
هَلْ عَالَجَتْ أَيُّ مَرْضَى؟

انْفَجَرَ حَمِيدٌ ضَاحِكًا، لَمْ أَدْخُلْ حَتَّى أَيَّ مَخْتَبِرِ الْيَوْمِ لَأَرَى مَا بَدَاخِلَهُ، نَاهِيكَ عَنْ مُعَالَجَةِ أَيِّ مَرْضَى يَا عَزِيزَتِي!
جَاءَتْ عَفْرَاءُ وَأَسْمَاءُ بِسُرْعَةٍ مِنْ غُرْفَتِهِمَا وَصَاحَتَا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ:

-دَكْتُورَ حَمِيدٍ!

وَاحْتَضَنَتَا حَمِيدًا، وَقَبَّلَتَاهُ وَهَنَّأَتَاهُ لِأَنَّهُ أَصْبَحَ طَالِبًا جَامِعِيًّا الْآنَ. رَغِمَ أَنْ حَمِيدًا كَانَ يُحِبُّ كُلَّ أَفْرَادِ عَائِلَتِهِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَقْرَبَ بِكَثِيرٍ إِلَى وَالِدِهِ الَّذِي نَجَحَ فِي تَرْبِيَتِهِ وَأَخَوَاتِهِ بِصُورَةٍ مُتَوَازِنَةٍ، مَلِيئَةً بِالْحُبِّ وَالْحَنَانِ وَالرَّعَايَةِ، دُونَ أَنْ يُدَلِّلَهُمْ بِإِفْرَاطٍ، كَانَ لَوَالِدِهِ تَأْثِيرٌ كَبِيرٌ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا؛ فَلَطَالَمَا حَتَّ حَمِيدٌ وَأَخَوَاتُهُ عَلَى الْعَمَلِ بِشَكْلِ جَادٍ لِلنَّجَاحِ وَتَحْقِيقِ غَايَتِهِمْ، كَانَ حَمِيدٌ يَنْظُرُ إِلَى وَالِدِهِ عَلَى أَنَّهُ مَثَلُهُ الْأَعْلَى فِي الْحَيَاةِ وَقُدُوتُهُ الْأُولَى. كَانَتْ نَصِيحَةُ وَالِدِ حَمِيدٍ لَهُ:

-لَا تَقْبَلُ بِالْقَلِيلِ أَبَدًا، وَتَطَّلِعُ إِلَى النُّجُومِ؛ هُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ النُّجُومِ اللَّامِعَةِ فِي السَّمَاءِ، وَلَكِنْ هُنَاكَ نَجْمٌ وَاحِدٌ فَقَطْ هُوَ الْأَكْثَرُ سُطُوعًا، أَحْرَصَ عَلَى أَنْ تَكُونَ ذَلِكَ النَّجْمَ.

تَخَرَّجَ وَالِدَا حَمِيدٍ مِنْ جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ؛ حَيْثُ تَعَارَفَا وَوَقَّعَا فِي الْحُبِّ، لِيَتَزَوَّجَا بَعْدَ أَعْوَامٍ قَلِيلَةٍ مِنْ تَخَرُّجِهِمَا، اخْتَارَتْ أُمُّهُ أَنْ تَصْبِحَ مُعَلِّمَةً، أَمَّا أَبُوهُ، عَبْدُ اللَّهِ، فَالْتَحَقَ بِوِزَارَةِ الْخَارِجِيَّةِ، وَهُوَ مَا نَاسَبَ أُسْلُوبَ حَيَاتِهِ كَثِيرًا؛ فَقَدْ كَانَ يُحِبُّ السَّفَرَ وَاسْتِكْشَافَ عَوَالِمِ جَدِيدَةٍ، أَخَذَهُ عَمَلُهُ إِلَى كُلِّ بَلَدٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، كَانَ يُسَافِرُ وَحْدَهُ أحيانًا، وَأحيانًا أُخْرَى مَعَ أُسْرَتِهِ، لَكِنْ بَغْضَ النَّظَرِ عَنِ حُبِّ عَبْدِ اللَّهِ وَعَائِلَتِهِ لِلسَّفَرِ، وَبِغْضِ النَّظَرِ عَنِ جَمَالِ الْبُلْدَانِ الَّتِي زَارُوهَا مَعًا، كَانُوا يَحُبُّونَ الْإِمَارَاتِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَيَشْعُرُونَ بِالْحَيْنِ لِأَرْضِهَا وَهَوَائِهَا كُلِّ مَرَّةٍ يُسَافِرُونَ فِيهَا بَعِيدًا عَنْهَا. كَانَ عَبْدُ اللَّهِ رَجُلًا خَلُوقًا لِلْغَايَةِ، وَيُتِقِنُ خَمْسَ لُغَاتٍ أجنبية، دَفَعَهُ حُبُّهُ لِلْعِلْمِ وَالتَّعَرُّفِ عَلَى مُخْتَلَفِ الْحَضَارَاتِ إِلَى دِرَاسَةِ مُعْظَمِ الدِّيَانَاتِ؛ فَكَانَ عَلَى إِطْلَاعٍ وَاسِعٍ بِالْهِنْدُوسِيَّةِ وَالْبُودِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ، عِنْدَمَا كَانَ حَمِيدٌ صَغِيرًا، اعْتَادَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَخْتَبِرَهُ فِي أُمُورِ دِينِهِ؛ فَيَسْأَلُهُ:

-هَلْ تَتَذَكَّرُ مَقُولَةَ الْخَلِيفَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

فِيحِبُّ حَمِيدٌ بِسُرْعَةٍ وَثِقَةٍ:

-النَّاسُ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ تَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ.

يَرُدُّ عَبْدُ اللَّهِ، وَهُوَ يُرِيَّتْ عَلَى رَأْسِ حَمِيدٍ:

-مَا شَاءَ اللَّهُ! وَمَاذَا قَالَ أَيْضًا؟

يُجِيبُ حَمِيدٌ، مُتَذَكِّرًا دَرُوسَ أَبِيهِ وَتَعَالَمِيهِ، وَهُوَ يَتَفَكَّرُ بِحِكْمَةِ الْخَلِيفَةِ عَلِيِّ وَقُوَّةِ كَلِمَاتِهِ:

-رَبِّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمَّكَ.

عِنْدَمَا وَصَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الْبَيْتِ، رَحَّبَ بِهِ أَيْضًا بِحَمِيدٍ وَشَعُورٍ بِالْفَخْرِ وَالسَّعَادَةِ يَغْمُرُهُ، قَائِلًا:
دكتور حميد!

اسْتَفْسَرَ عَبْدُ اللَّهِ عَنْ يَوْمِ حَمِيدٍ فِي الْجَامِعَةِ، فَسَرَدَ حَمِيدٌ عَلَى عَائِلَتِهِ كَافَّةً أَحْدَاثَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، بِاسْتِثْنَاءِ لِقَائِهِ مَعَ مِي، وَاصَلَ حَمِيدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ

الحديث حول مائدة العشاء، وبعد الانتهاء من الأكل، طلب حميد من والديه أن يُقدِّمًا له النَّصِيحَةَ لِنَجْحٍ فِي الْجَامِعَةِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ:

-أَنْتَ الْآنَ فِي مَرِحَةٍ تُمَكِّنُكَ مِنْ اتِّخَاذِ قَرَارَاتِكَ الشَّخْصِيَّةِ يَا حَمِيدُ! لَا تُحَاوِلْ أَنْ تَكُونَ مِثْلِي أَوْ مِثْلَ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ، اخْتَرِ طَرِيقَكَ الْخَاصَّ، وَمَعَ ذَلِكَ، هُنَاكَ شَيْءٌ عَلَيْكَ أَلَّا تَتَجَاوَزَهُ، عَلِمْتُكَ أَنَا وَوَالِدَتُكَ أَنْ تَكُونَ صَادِقًا وَأَمِينًا مَهْمَا كَانَ الثَّمَنُ.

اسْتَمَعَ لِأَبِيهِ بِإِصْعَاءٍ، وَاصَلَ عَبْدُ اللَّهِ:

-نَصِيحَتِي الْآخَرَى، هِيَ أَلَّا تَتَّخِذَ أَيَّ قَرَارٍ عِنْدَمَا تَكُونُ غَاضِبًا أَوْ مُنْزَعِجًا أَوْ مَرِيضًا، هَذِهِ نَصِيحَتِي لَكَ، وَأَنْتَ يَا مَرِيمُ، "أَضَافَ عَبْدُ اللَّهِ مُلْتَفِنًا إِلَى زَوْجَتِهِ": مَا هِيَ نَصِيحَتُكَ لِحَمِيدٍ؟
-أُرِيدُ أَنْ أُضِيفَ نَقْطَةً وَاحِدَةً فَقَطْ، لَا تَتَخَلَّ عَنْ مُعْتَقَدَاتِكَ الدِّينِيَّةِ، وَلَا تَتَكَاسَلَ عَنْ صَلَاتِكَ أَبَدًا، فَهِيَ مَا سَتَمُدُّكَ بِالْقُوَّةِ فِي كُلِّ مَا تَفْعَلُهُ.

عِنْدَهَا قَالَتْ عَفْرَاءٌ مُمَارِحَةٌ:

-يَكْفِينَا نَصَائِحَ بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ، هَذَا أَوَّلُ يَوْمٍ جَامِعِي لِلْمَسْكِينِ!

صَحَّكَ الْجَمِيعُ مِنْ قَوْلِهَا، وَغَيَّرُوا الْمَوْضُوعَ.
كَعَادَتِهِمْ، وَاصَلَ حَمِيدٌ وَأَفْرَادَ عَائِلَتِهِ الْحَدِيثَ حَتَّى وَقْتُ مُتَأَخَّرٍ مِنَ اللَّيْلِ، عِنْدَمَا ذَهَبَ وَالِدَاهُ إِلَى النَّوْمِ، بَدَأَتْ أَسْمَاءُ وَعَفْرَاءُ بِسُؤَالِهِ عَنِ الْجَامِعَةِ وَكُلِّيَّةِ الطَّبِّ، وَإِنْ كَانَ قَدْ تَعَرَّفَ عَلَى أَصْدِقَاءٍ جُدَّدٍ هُنَاكَ، تَسَامَرُوا حَتَّى وَقْتٍ مُتَأَخَّرٍ إِلَى أَنْ تَنَاءَبَ حَمِيدٌ، وَقَالَ:

-بِالْكَادِ اسْتَطِيعُ فَتْحَ عَيْنِي، وَلَا يَزَالُ أَمَامِي الْكَثِيرُ لِأَقُومَ بِهِ غَدًا، هَيَّا، لِنَخْلُدَ لِلنَّوْمِ.

اتَّصَلَ صَالِحٌ عِنْدَمَا كَانَ حَمِيدٌ عَلَى وَشِكِّ أَنْ يَغْفُو، فَقَالَ لَهُ وَهُوَ يَرُدُّ عَلَى الْهَاتِفِ:

-يَا إِلَهِي يَا صَالِحُ، هَلْ تَنْظُرُ إِلَى السَّاعَةِ؟ إِنَّهَا قُرَابَةُ الْوَاحِدَةِ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ.

-أَعْرِفُ، أَعْرِفُ، أَنَا مِثْلَكَ مُرْهَقٌ تَمَامًا، لَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ النَّوْمَ، وَكَأَنَّهُ مَزِيحٌ مِنَ الْأَدْرِيبَالِينِ وَالْحَمَاسِ، أَوْ رُبَّمَا جُرْعَةٌ "الْإِسْبَرِيَسُو" الْإِضَافِيَّةُ الَّتِي شَرِبْتُهَا فِي الْكُلِّيَّةِ، أَوْ كُلِّ ذَلِكَ مَعًا، نَعَمْ، أَعْتَقِدُ أَنَّهَا مَجْمُوعُ كُلِّ

شيء، أنا مُتحمّسٌ جدًّا للغد، هل قُلْتُ ذلك للتو؟ أين سنلتقي غدًا؟ في أيِّ وقت؟

أجاب حميد:

-خُذْ نفسًا عميقًا يا صالح، واهدأ قليلًا، لقد تَطَقَّتْ أكثر من مئة كلمة في أقلِّ من دَقِيقَة!

شعر حميد بالحماس مثل صالح، لكنّه لم يُرد أن يُخبر صالح بذلك، وإلا قَلن يُغلق الأخير الخط:

-لنحاول النوم الآن، وإلا سنكون مُرهقين تمامًا، ولن نتمتع بيومنا في الجامعة غدًا.

كَانَ لحميد وصالح العديّد من الذّكريات الجميلة؛ في طفولتهما كاتًا بقضيان فترة العَصْرِ في لعب كُرّة القدم، والشّجار أحيانًا مع بعضهما أو مع أولاد الفريج، لكنّهما لم يفترقا يومًا دون أن يتصافيا ويتصالحا، في هذه الأيام، اعتادَ صالح على زيارة منزل حميد، خاصّة وأنّ والدي حميد كانا يُحبّان صالح كثيرًا، كانَ صالح أكبر من حميد بثلاثة أعوام، لعدَم وجود مدرسة في قريته، ولأنّ والديه لم يَكُن لديهما وعيٌّ بأهمية التعليم المُبكر، التحق صالح بالمدرسة في وقتٍ متأخّرٍ ممّا جعله حينها أكبر طالب في صفّه، أصبح حميد وصالح أصدقاء في الصفِّ السادس، ومن حينها وهما لا يفترقان.

أحد الأحداث التي لا يُمكن لحميد أن ينساها في نهاية ذلك العام الدراسيِّ بالتحديد، وَقَع عِنْدَمَا رسم حميد صُورَة كرتونيّة لمعلم كان يكرهه جميع الطلاب في ذلك الصّف، ومَرَّرها من تحت الدرج إلى صالح، تَطَرَّ صالح إلى الصورة، وَقَرَّر أن يصع بعض اللّمسات الأخيرة عليها، عِنْدَهَا أمسك به المعلم، اصطحب المعلم صالح، والغصّب يتطّير من عينيه، إلى مكتب مدير المدرسة الذي عاقبه وهدّده بحرمانه من الاختبارات النهائيّة، وطردّه من المدرسة، ومع ذلك، التّرم صالح الصّمت، ولم يعترف للمدير بأن حميد هو من رَسَم الصورة، ذلك اليوم، دَهَب حميد إلى المنزل مُنزِعًا للغاية، وأبلغ والدّه بما حصل، نَصَحَه عبد الله بأن يعترف بالحقيقة، وأن يتحلّى بالشجاعة ويتقبّل العواقب! في اليوم التالي، توجّه حميد إلى مُعلمه بخوف وخجل، واعترف بفعلته، تفاعًا المعلم بأمانة حميد وإخلاص صالح، ورَعَم أنّه كان لا يزال مُستاءً منهما، قَرَّر أن يعفو عن الاثنين، لكنّه لم يُخبرهما ذلك فورًا كي لا يبدؤا مُتساهلًا معهما، فيشعرا بأنّ بإمكانهما ارتكاب نفس الجرم مرّة أخرى والنجاة دون عقاب، لهذا، أخبرهما بأنّه سيفكر بأمر عقوبتهما وتركهما

والقلق يُساورهما حتى نهاية اليوم، قبل انتهاء اليوم الدراسي، نادى المعلم صالح وحميد إلى مكتبه، وأخبرهما بقراره العفو عنهما. كَبُرَ صالح وحميد، وبدأا يلتقيان في "الكافيهات" ومحلات "الشيشة" بعد المدرسة، وفي عطلة نهاية الأسبوع، كان حميد يزور مزرعة عائلة صالح أحيانًا ليقضي اليوم معهم هناك، في أثناء المرحلة الثانوية، انتقل صالح للسكن مع عمه الذي كان يعيش في الشارقة، وفي البداية، لم يرغب صالح بدراسة الطب، إلا أن حميد أقنعه قائلًا:

-وطننا بحاجة إلى أطباء، صدّقني، ستصبح طبيبًا يقدره الجميع.

بدأ شغف حميد بالطب ورغبته في أن يصبح طبيبًا عندما كان طفلًا، في هذه المرحلة من عمره، عانى حميد من المرض كثيرًا، في هذه الأيام، كان معظم الأطباء في الشارقة من شبه القارة الهندية، وكان طبيب العائلة الدكتور مشتاق هو الدكتور المفضل لدى عبد الله، الذي اعتاد أن يزوره في عيادته الصغيرة، كان الدكتور مشتاق من باكستان وتميز بدمائة أخلاقه ولطفه، حتى إنه كان يُعالج بعض العمال الفقراء دون مقابل، تعود عبد الله أن يطلب من الدكتور مشتاق زيارة منزله لعلاج والديه المُسنين، وأحبه والداه لدرجة أنه إذا زارهما لإعطائهما حُقنة المحلول الملحي فقط، كاتا يشعران بتحسُّن فورًا، لا سيما جدّة حميد التي رفضت رؤية أي طبيب سوى الدكتور مشتاق.

عاش جدُّ وجدّة حميد في المريجة، المنطقة التاريخية القديمة من الشارقة؛ حيث وُلد عبد الله، عندما كان طفلًا، اعتاد حميد على زيارتهما هناك والنوم في بيتهما أحيانًا، كان يقول لجدته:

-سأصبح طبيبًا مثل دكتور مشتاق يا جدي!

فثربت جدته على كتفه وتقول له:

-أنت ضعيف للغاية يا حميد، ولا يُمكنك تحمُّل غسل يديك عدة مرات في اليوم؛ لذا ما رأيك باختيار تخصص آخر؟

كان حميد يردُّ ويضربُ الأرض بقدمه بقوة وحنق، وشعور بالأسى لأن جدته التي يكنُّ لها كلَّ الحب لم تستوعب رغبته بأن يصبح طبيبًا ليعالجها يومًا ما:

-لكنني أريد أن أصبح طبيبًا، وسأصبح طبيبًا!

أَكَنَّ جَدٌ وَجِدَةٌ حَمِيدٌ لَهُ مَحَبَّةٌ خَاصَّةٌ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ حَفِيدٍ لِهَاجِرَةَ، عِنْدَمَا بَنَى
عَبْدُ اللَّهِ مَنْزِلًا جَدِيدًا عَلَى أَطْرَافِ الشَّارِقَةِ، طَلَبَ مِنْهُمَا الْإِنْتِقَالَ مَعَهُ وَمَعَ
عَائِلَتِهِ، لَكِنَّهُمَا رَفَضَا مُغَادِرَةَ مَنْزِلِهِمَا الْقَدِيمِ الْمُتَهَالِكِ، وَعَاشَا فِيهِ حَتَّى آخِرِ
يَوْمٍ مِنْ حَيَاتِهِمَا.

الفصل الثالث: كلية الطب - السنة الأولى رحلة أستراليا

في اليوم التالي، تجوّل الطلاب بساعات الجامعة للتعرف على أرجائها، وقاموا بزيارة قاعات المحاضرات المختلفة في كلية الطب، خلال ذلك، اغتتم الطلاب الفرصة للتعرف فيما بينهم، والتفوا أعضاء هيئة التدريس، في بداية العام الجامعي، بلغ عدد الطلاب الجدد الملتحقين بكلية الطب تسعين طالبًا وطالبة، نصفهم إماراتيون، والنصف الآخر من دول مجلس التعاون الخليجي.. وغيرها، إضافة إلى عددٍ من الطلاب الدوليين، خاصّة من أبناء الجاليات المستقرّة للعمل في الإمارات، أمّا بالنسبة لهيئة التدريس، فمُعظمها من الأجانب؛ باستثناء بروفييسور إماراتي واحد، بصورة عامّة، اتّصفت الكلية ببيئة مُتعدّدة الجنسيات، شَعَرَ الجميع فيها بالراحة والاستعداد للتعلم والعطاء.

تجوّل حميد وصالح، وبقية الطلاب الجدد، في كلية الطب حول الكلية، وراق لهم كلّ ما شاهدوه، بدءًا من قاعات المحاضرات، والمعامل وغرف التشريح، إلى مكتبة كلية الطب القيّمة، وأخيرًا، طلب منهم المرشد تشكيل مجموعات من عشرة طلاب، وترك الحرية للطلاب باختيار المجموعة التي يفضّلون الانضمام لها، وحذّرهم المرشد:

-إذا لم تنتهوا من تشكيل المجموعات في غضون خمس دقائق، فسيأقوم أنا بذلك، صدّقوني، هذا آخر ما تُريدونه، هذه آخر فرصة لكم إذا كنتم تُريدون البقاء في نفس المجموعة مع أصدقائكم.

ما إن انتهى المرشد من حديثه، حتى تكوّنت تسع مجموعات من الطلاب. أعلن المرشد بحماس، قبل أن يعطي كلّ مجموعة رقمًا:

-أحسنتم!

شكّل حميد وصالح المجموعة رقم خمسة مع: جبران، وراجان، وجون، وفرح، ومنى ومنال، وكذلك حَتَان من البحرين، وهلال من عُمان، بقصّل

البيئة المتنوعة مُتعددة الجنسيات في الكلية، تعلّم الجميع بسرعة عادات وتقاليد البلدان المختلفة لزملائهم، واحتقّى كل منهم باختلافات الشخص الآخر، واحترَمَها دون أيّ أحكام، كان الاحترام بين أعضاء المجموعة نُقطة مُهمّة جدًا.

قال راجان لأصدقائه أكثر من مرّة:

-إنّ لم أحصل على امتياز، ستقطنني أمي!

مِمّا جعل الآخرين يضحكون من مُبالغته، ولمُمازحته، كثيرًا ما أخبروه بأنّ أمه تنتظره في الخارج وهي تحمِل عصا في يدها.

راجان هندُوسي من الهند، وهو الابن الوجيد لوالديه، عمَل أبوه في شركة أبو ظبي للبترول، وعلى عكسي أصدقائه، كان راجان يشعُر بالفعل بالخوف الشديد من أمّه، وكان أكثر الطلاب اجتهادًا واهتمامًا بدراسته.

أمّا والد جون، فكان مُهندسًا مدنيًا يعملُ في البحّرين، وبَعْد بحثٍ شاملٍ، تضمّن مُقارنة الجامعات المُختلفة حَوْل العالم، ومكانتها بين غيرها من الجامعات، مع الأخذ بعين الاعتبار ظروف المعيشة في البلدان التي تقع بها هذه الجامعات، قرّر جون الدّراسة في جامعة الشارقة، بعد تخرُّجهما في كلية الطب، كان راجان وجون يُخططان للانتقال إلى الولايات المتحدة.

من بين الفتيات الخمس في المجموعة، نالت موني إعجاب حميد، موني إماراتية من دبي، جذابة، مُؤدّبة، وتتمتع بشخصية قويّة، ارتدت موني الجِجاب المحتشم، وعلى خِلاف غيرها من بنات الجامعة، بما في ذلك فرح ومنال، لم تضع موني المكياج على وجهها، كما أنّها لم تُعر الشباب اهتمامها، بل كانت تفضّل التركيز على دراستها، أمّا فرح، فكانت من أبوظبي، ومَنال من المنطقة الشرقية، التحقّت كل من فرح وموني بكلية الطب؛ لأنّ منظر الأطباء في معاطفهم البيضاء كان يروق لهما، دون التفكير بالسّنوات الطويلة الشّاقة التي يتطلّبها منهما الالتحاق بكلية الطب.

أمّا حنان وهلال، فكانتا شخصين مُختلفين تمامًا، بدءًا من مظهرهما إلى طباعتهما إلى تصرّفاتهما، كان كل منهما عكس الآخر، حنان تُحبُّ ارتداء آخر صرعات الموضة، بينما يُحبُّ هلال ارتداء "دشداشته" العُمانية، أمّا باللون الأبيض، أو البني، أو الأسود، وكُمته المطرّزة، دون أن يُولي الاهتمام الكبير بمظهره، إلا أنّ اختلافاتهما لم تتوقّف عند مظهرهما، فحنان تُحبُّ كثرة الحديث والحوارات، بينما يلتزم هلال الصمت، ولكنّ الاثنتين كاتا في غاية الاجتهاد والتناقضية فيما يتعلق بدراستهما، من أوّل يوم، أصبح جليًا للجميع أنّهما لن يتزكيا أيّ شيء يقف بينهما وبين التفوّق في الجامعة، ورغم اختلافاتهما، أو بسببها، أعجب كل منهما بالآخر، وكانت هذه بداية علاقة بريئة جميلة حيرت الجميع.